اشتروه بالمحافظة على اخيهم الوطني لا يبتغون الا الذكر الجميل في الدنيا ورضا الله تعالى في الآخرة فلله هم ثم لله هم فان اسير احسانهم وحافظ معروفهم

خادمهم عبد الله النديم

الادريسي

﴿ فصلٌ ﴾

في الاخلاق والعادات

جرت عادة الله تعالى في خلقه ان يجري كل امة وطائفة على اخلاق وعادات يلهمهم اياها عند حكم الضرورة بالتزام العادة والتلبس بالخُلق فيقلد الضعيف القوي والبليد الذكي حتى يسري ذلك في افراد الامة او الطائفة ويصير كانه جبلي فطري يتوارثه الابناء عن الآباء . وبوصولها هذه الدرجة يظهر استحسانها استقباح غيرها من اخلاق وعادات الغير حتى لو اتخذنا محكمين من امتين لاصر كل منهما على تصويب امته وتخطيء غيرها وتفرقا على النفرة والتضاد . واذا استبصر احد الافراد وراى قبح شيء مما عليه طائفته ونبههم على ذلك محتجاً بالدليل النظري والبرهان العقلي حكم عليه بالجنون والغفلة عن خصائص الامم . وبهذا يعز على الامم ان تغير عاداتها ما دامت في حيز لا يدخله غيرها وليس هذا من خواص الشرق او الغرب بل هو من لوازم الامم البعيدة عن الاختلاط الانساني يشهد بذلك عصر العزلة الذي قضى على كثير من العقلاء باراقة الدماء حفظاً لعادة او تاييداً لخلق . ومن هنا يعلم قدر

نعمة الاختلاط وتبادل التجارة والسياحة والاستيطان بين الامم شرقية وغربية فان وجود العدد الكثير من امة بين افراد امة اخرى يجرون امورهم على عاداتهم في الصناعة والفلاحة والملاحة واستخدام الافكار في مواردها من انشاء وخطب وتدريس وتهذيب وتـاديب يقوم مقام اساتذة منتشرين في انحاء البلاد فتستنكر النفس بادئَ بدءٍ ما تراه مما يخالف عادتها وتفر من رؤية من يخالفها ثم لا تزال تتاخر في الفرار والاستمرار يستدنيها ويتألفها وهي تميل شيئاً فشيئاً حتى يحلو في عينها ما تراهُ ثم تهجس بتقليد الغير وعادتها تمانعها الى ان يبعثها التقليد على الهجوم مرة فتفعل او تقول وهي تخاف الرقباء ولا تزال تاخذ بالتقليد يوماً فيوماً حتى يحسن عندها التظاهر بما اخذته من عادة الغير ثم يترقى عندهـا الاستحسان فترى قبح ما كانت عليه مما جرت عليه الآباء في عصور متتالية

ولا نستطيع ان نحكم بسوء عادات القدماء بالمرة فان حاجتهم التي دعتهم لاتخاذها هي حاجتنا التي تدعونا لتغييرها او تحسينها . ولكن ينبغي لمن يغير عادته بعادة الغير ان ينظر في اصل عادته وفوائدها ومضارها ثم في عادة الغير كذلك فان راى حسن عادته وانها من لوازم حفظ المظهر او الثروة او الوطنية او الجنسية او اللغة او الدين لزمه البقاء عليها وان لم تحسن في عين الخليط وان رآها مضرة بذاته او وطنه او الهيئـة الاجتماعية غير منها ما لا يفقده الاعتقاد الديني والشعور الجنسي والغيرة الوطنية . فان انتقل من عادته بلا روية ولا نظر للعواقب فقد سلم ذاته لمن انتقل لعادته بلا حرب ويعز عليه الرجوع لجنسيته ووطنيته وخصائص

امته بعد نسيانه ما هي عليه من العادات وما لها من الاخلاق . انما قلنا حفظ المظهر او الثروة او الوطنية او الجنسية او اللغة او الدين لان الانسان اذا ترك مظهره ووجاهته للغير بتنزله اليه حتى يحله محله فقد سلم الافراد الذين كانوا يسيرون بسيره ويهتدون بتدبيره ونزل هو الى درجتهم وان مشي في ثياب العظماء . واذا تهاون في مستغل ثروته من صناعة وتجارة واخذ يقلد الغير في استعمال مصنوعه وصورة تجارته امات الصنعة والصناع واعدم التجارة وحوّل ما كان بيده الى الغير من غير شعور وعاد فقيراً محتاجاً لما بيد الغير لا يجد ما يقوته الا ما بقي من فضله ومهن الامور . وان جهل الوطنية وحقوقها وواجبات اهلها سهل عليه الانقياد للغير وتسليمه الوطن غروراً بالظاهر وجهلاً بالعواقب اذ لا يعلم من الوطنية الا انه ساكن بهذه الارض ينتفع بالسكنى فيها انتفاع الوحش بالاودية والمغارات فلا يعرف تاريخ الحياة الوطنية ولا الامم المؤسسة لها ولا شرف استقلال الاستيطان ولا مجد وقاية المأوى وبهذا يكون بين يدي الغير بمنزلة اجنبي يستعمله في مهنه وليس له الا أجر اجير ومنزلة نزيل .

واذا تجنس بغير جنسيته بالتقليد واتباع محسنات الغير ومجاراته في اقواله وافعاله وقعت جنسيته عنده موقع العدو وعدم فوائدها التي يأتي بها اجتماع افراد الجنس فان الوطنية تجمع اجناساً شتى يدعوهم حب الوطن الى توحيد المعاملة والسير في كل ما من شأنه حفظ الوطن وعماره وانتظامه وامتداد تجارته وتحسين صناعته لا يفرق بينهم جنس ولا دين لسير الجميع خلف مقصد واحد فاذا سمع صوت الجنس في وطن آخر تداعت

اليه آحاد الجهات مجيبة للصوت اجابة ادبية او مادية فان فقد المرء جنسيته او جهل مجدها وتاريخها وآثارها انسلخ عنها وان تكلم بلهجتها ولزم عادتها · واذا ترك لغته بلغة أُخرى لزمه التخلق باخلاق اهلها واستحسان ما هم عليه من العادات والمألوفات وان امات بذلك عادات جنسه وينطوي تحت انفعاله بتأثير التعبير بغضه من غايره وحبه من ماثله فيكون اجنبياً بين قومه او في قوة الاجنبي والمراد بترك اللغة جهلها والاستعاضة عنها بلغة الغير لا علمه بها مع المحافظة على لغته واستعمالها في اقواله بين قومه واشتغاله بالمحافظة عليها واتقان قواعدها بما يراه في لغة الغير مما يسهل تناوله لو ترجم الى لغته فان الجامع بين لغته ولغات الغير اساس من أُسس العمران المدني ومنبع من منابع الابحر العلمية · واذا تهاون في احوال دينه وفروعه هان عليه التقاعد عن نصرة اهله الجامعة لما تشتت في الوجاهة والثروة والوطنية والجنسية واللغة فاننا نرى مقيمًا في الشرق يتألم بمصاب دينيّه في الغرب وليس بينه وبينه جامعة وطن او جنس او لغة وانما تتحرك ذاته بحركات دينيّه لسري الجاذبة الدينية في الجسم سري الماء في العود فاذا فقدها بتقليد الغير فقد استخدم نفسه لافكاره حتى لو اضطره لمقاتلة ابيه واخيه معه لفعل لاستقباحه ما هم عليه واستحسانه ما عليه الغير · ويدخل في هذا التقليد في الملابس والمطاعم والمشارب والمجامع فان في كل منها منافع ومضار فقد قدمنا ان الانسان لا يمكنه الحكم بقبح عادات الغير او حسنها من قبل ان ينظر في منافعها ومضارها · وحيث ان هذا البحث من اعظم مباحث الاخلاق والاجتماع المدني

الذي لا بد منه لكل امة استوطنت المعارف بلادها وقامت لمضارعة الامم المختلطة بها تجارة وسياحة واستيطاناً لزمنا ان نفصل كل فرع من فروع التقليد ونبين منافعه ومضاره عند المقلّد بصرف النظر عن حسنه عند المقلَّد فقد يكون الشيء الواحد سبباً لعطب شخص كما يكون نجاة لآخر والدواء الواحد يكون سماً لذات شفآء لأُخرى فلا يلزم من استحسان الغير لشيءٍ نفعه لآخر · وما اريد بذلك الا الخدمة الانسانية ومحافظتي على الفضيلة من حيث هي فضيلة في قومها وتبيين الرذيلة بمباينتها اخلاق وعادات ذوي الافكار والله المستعان جل شأنه

رثاء

فجيءَ الادب ورزئَ الانشاء وبكت الاقلام على كاتب شق بفكره بحار العلوم حتى ادرك مغاص لآلئها فساح في قاع تلك البحار الزاخرة طلباً لما حلَّى به صدور الكتب والرسائل حتى بهر الكتاب بحكمهِ وآدابه وملأ البلاد باسفار خدمته التي بذل فيها نفيس العمر متحملاً مشاق المحادَّة ومضض سيوف المعارضة وصبر للدهر ونوازله صبر الجبال على انهمار السيول حتى وضع قدمي جريدته الاهرام على اساس متين وكساها حلة وطنية صيرتها محبوبة عند المصريين ولطالما عالج الوقت بما يناسبه والبس جريدته لكل سياسة لباساً يناسبها وما ذاك الا بقوة الحزم وشدة العزم · واظنه لا يحتاج لتعريف بعد ذلك فان من سمع هذه الاوصاف قال انها لا تنطبق الا